Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النظم العربية ووظائفها ومكوناتها، والصلة بين النمط التركيبى ومدلوله، كل ذلك فى إطار ما تواضع عليه العرب فى استعمال لغتهم.

إنَّ جَعْلَه غاية النحو «معرفة النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى» يشير إلى فهم لوظيفة النحو أعمق من مجرد كونه قواعد لضبط حركات الإعراب أو حتى بناء الجمل، فربطه بين «صيغة النظم» و«صورة المعنى واختياره هذين المصطلحين بالذات للتعبير عن «الجملة» و«معناها» دليل على دقة الحس النحوى لدى صاحب التعريف، وأنه قد نص على قضية مهمة هى ـ إلى حد كبير ـ القضية نفسها التى تدور حولها الدراسات النحوية الحديثة، خاصة لدى التحويليين Transformations وهى قضية طبيعية الصلة بين التركيب والمعنى وقد يزكى هذا الفهم ما ختم به التعريف من قوله «فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى» إشارة إلى أن الصلة الوثيقة والمتبادلة بين التركيب والمعنى، وأن فهم أحدهما بوضوح متوقف على فهم الآخر كذلك، أى أنه إذا لم تفهم الوظيفة النحوية لمكونات التركيب وسر وضعها على نظم خاص ـ فضلا عن دلالاتها المعجمية ـ تعسَّر فهم المعنى فهماً كاملا، وبالمثل إذا لم يكن المعنى المطلوب التعبير عنه واضحاً فى الذهن بدرجة كافية صعب تحديد بناء ـ أو نظم ـ الجملة التى تستطيع نقل هذا المعنى بأمانة.

وإذا تقدمنا مع الزمن وجدنا التعريفات تتجه إلى تضييق حدود النحو حتى يكاد بعضها يحصره فى «التغيرات» التى تصيب ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة العرب كما عرفه ابن هشام الخضراوى (ت ٦٤٦هـ).

ويزداد هذا الاتجاه قوة عند المتأخرين حتى ينتهى إلى حصر النحو فى البحث «عن أواخر الكلمة إعراباً وبناءً»، فصار مجاله ليس التراكيب وغيرها، ـ كما كان ـ عند المتقدمين، بل «الكلمة العربية من حيث ما يعرض لها من الإعراب والبناء» [1] إن هذه التعريفات لا تعبر فى الواقع عن القضايا التى تعالجها كتب النحو فعلا حتى عند متأخرى النحاة، بقدر ما تعبر عن اهتمامات أصحاب التعريفات ونمط ثقافاتهم.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٦